Issue 4113 Saturday 4/2/2012
الزمان – السنة الرابعة عشرة – العدد 4113 السبت 11 من ربيع الأول 1434 هـ 4 من شباط (فبراير) 2012م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/12. UK

مولد رسول الانسانية

أكرم عبدالرزاق المشهداني
الدوحة

يحتفل المسلمون في الثاني عشر من شهر ربيع الأول من كل عام في مشارق الأرض ومغاربها، بذكرى عطرة عزيزة على القلوب، هي ذكرى مولد فخر الكائنات، نبي الأمة والرحمة المهداة للبشرية جمعاء (سيدنا محمد) صلى الله عليه وسلم، سيد ولد آدم وخاتم الأنبياء والمرسلين، الذي بمولده وطلعته إستنار الكون وأشرقت الأرض بنور ولادته، كيف لا وهو الرحمة المهداة، والنعمة العظيمة، والأمل المنتظر الذي أرسله الله عز وجل للناس أجمعين ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)) سورة الأنبياء107. فكان رحمة للبشرية كلها. وببعثته ورسالته ودعوته انقشعت الظلمات وتبدلت الأرض غير الأرض والناس كذلك، فإنتشرَ العدل بعد طول سيطرة للظلم، وعمَّ الإحسان بعد طول كراهية وجفاء، وانمحت ظلمات غشيت العقول وأعمت البصائر والأبصار.

ذكرى المولد النبوي ليست مجرد مناسبة لمولد (إنسان عظيم) فحسب، بل إنها ذكرى (مولد أمة) فبولادته عليه الصلاة والسلام ولدت أمة العرب من جديد.. لتقود العالم وتنشر الفضيلة والعدل والسلام.. وتحارب الظلم والطغيان.. وترفع شعار الفاروق الخالد (مَتى أسْتَعْبَدْتُمْ النّاسَ وَقَدْ وَلَدَتْهُمْ أمّهاتُهُمْ أحْرَاراً؟)... أمة لا تفرق ولا تظلم ولا تضطهد، وماهي إلا عقود قليلة من ولادة المصطفى حتى إرتفعت راية (لاإله إلا الله) في أرجاء الجزيرة العربية وفوق بلاد فارس وعلى تخوم الروم وفي شمال أفريقيا.. ودخل الناس عن طواعية ورضا وإقتناع في الدين الإنساني الجديد الذي رفع شعار ((لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)) (256)البقرة، و (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِيْنِ) الكافرون/6... حتى صار المسلمون اليوم مليارات من البشر.. يدينون بالفضل لصاحب الذكرى العطرة عليه أفضل الصلوات والتسليم.

لقد كَرّمَ الباري عزّ وَجَلّ نبيه المصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم فجعله سيد ولد آدم ولا فخر، وجعل مولده نورا وبركة اهتز له عرش كسرى وانطفأت به نار فارس بعد أن ظلت مشتعلة ألف عام، وربط الله بين محبة المصطفى وبين وجوب إتّباعه: بقوله: "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فاتّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ" (آل عمران 31)... وجعل سبحانه وتعالى طاعة رسوله من طاعته عز وجل "مَنْ يُطِعِ الرَسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اَللهْ" (سورة النساء 80)، واختصه بما لا يعد ولا يحصى من المناقب والمفاخر عجز العلماء عن حصرها وعدّها طيلة قرون، رغم ما ألفً في ذلك من آلاف الصفحات. فلايحصل الإيمان ولايتم إلا بمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم "لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتّىّ أكُونَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مَنْ وَلَدِه وَوَالِده وَالناس أَجْمَعِيْنَ" رواه البَخاري ومسلم، وجعل الله الشهادة بنبوته ركنا من أركان الإسلام، واختصه بمعجزة الإسراء والمعراج، وجعل الملائكة دائمة الصلاة عليه "إِنَّ اللهَ وَمَلائكتَهُ يُصَلّوُنَ عَلَىْ النَبِيّ" (الأحزاب 56)، وأيّده بالمعجزات والبراهين وبعثه للناس أجمعين عكس باقي الأنبياء والمرسلين الذين أرسلوا الى أُمم بعينها وذواتها، وختم الله به الرسالات وأرسله للناس بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا. ومن تمام الكرامات أن حظيت أمته صلى الله عليه وسلم، أمة الإسلام، بالتكريم وعلو الشأن، ورفع الله قدرها فوق باقي الأمم "كُنْتُمْ خَيْرَ أمّةً أُخْرِجَتْ للنّاس" (آل عمران 110) وما ارتفعت هذه الأمة وما شُرِّفت إلاّ به صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى "لَقَدْ مَنّ اللهُ عَلىَ المُؤْمِنيْنَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلوُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكّيهِمْ". (آل عمران/164)

لقد كانت ولادته صلى الله عليه وسلم نقطة تحول في تأريخ البشرية، التي كانت قبل بعثته تعيش عصرا من الظلام تسوده كل صنوف الزيغ وتتخبط في كل أنواع الظلالات، وكان الناس في الجاهلية يتقاتلون لأتفه الأسباب، ويتخذون من الغارات مصدراً للارتزاق ويئدون البنات مخافة الإملاق ويعبدون الأصنام، فاستطاع صلى الله عليه وسلم أن يؤلف القلوب وينير الأبصار وينقي العقول ويشحذ العزائم ويرفع الهمم، وصدق الله تعالى إذ قال: "وَاذْكُرُوْا نِعْمَةَ اَللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً" (آل عمران 103)، وَعَبّر عَنَ ذلك الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه حين قال: "لقد كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير". لقد كان يوم ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم في يوم الأثنين، يوم سعادة دائمة للبشر وكل كائنات الوجود، وكان صلى الله عليه وسلم يحبّ يوم (الإثنين). فقد روى (مسلم) في صحيحه في كتاب الصيام عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أنه قال:سُئلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فضل صوم يوم الإثنين، فقال: هذا يومٌ وُلدتُ فيه وأُنزلَ عليَّ فيه"، وأخرج الإمام أحمد وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال "ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين واستنبئ يوم الإثنين وخرج مهاجرا يوم الإثنين وقدم المدينة يوم الإثنين وتوفي يوم الإثنين". إن ذكرى المولد النبوي الشريف هي مناسبة وفرصة لكل مؤمن كي يتذكر اصطفاء الله عز وجل للنبي المصطفى من بين كل الخلائق، وإصطفاءه لنا من بين كثير من الخلق لنكون من أمة المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن أتباعه، ولا شك أن الفرح بهذا الإنتساب يجب أن يتناسب مع ما يستحقه من محبة واتباع لنهج المصطفى، والإلتزام بهديه، كما يجب أن تكون هذه الذكرى موعظة لكل منا يرى فيها حال المسلمين والعرب اليوم الذين تداعى عليهم الأعداء والكارهون، كما تتداعى الأكَلَةُ إلى قصعتها لأن المسلمين والعرب باتوا اليوم غثاءً كغثاء السيل، لا تغني عنهم كثرتهم العددية ولا ثرواتهم الطائلة، ماداموا بعيدين عن منهج الحق الذي جاء به صاحب الذكرى العطرة.

كما يجب ان تكون ذكرى لكل مؤمن يتذكر فيها حاله مع الله عز وجل وموقعه عن ما أمره الله عز وجل به "يَا أيُها الذّينَ آمَنوُا إتّقوُا اللهَ وَكوُنوُا مَعَ الصّادقين".(التوبة/119) إنها ذكرى ولادة أعز من في الوجود، سيد ولد آدم، الرحمة المهداة، الشفيع لنا يوم القيامة. نسأل الله لأمتنا العافية وحياة القلوب المتشوّقة إلى حب الله ورسوله والإلتزام بنهجه وشرعه والتوحد تحت كلمته وتحت راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله). وحَرّيٌ بالعرب والمسلمين أن يرجعوا للنبع المُحمّدي الصافي ويغادروا كل عوامل التفرق والتشرذم والخلاف التي يُغذيها أعداؤهم، من طائفية وعرقية.. وعصبيّة جاهلية مقيتة، وليَستلهموا من هذه الذكرى العطرة، ومن صاحب الذكرى، المعاني والعبر التي تعينهم على تجاوز محنهم وإخفاقاتهم، ويعودوا إخواناً متحابين كما أمرهم الله ورسوله.

كما أن العراقيين مطالبون بأن يجعلوا من ذكرى المولد النبوي الشريف مناسبة لجمع الشمل والتوحد من أجل مصلحة العراق تحت خيمة الوطن الواحد والهوية الوطنية الجامعة وأن ينبذوا الخلافات والتشققات، وأن يعملوا لإنقاذ بلدهم وإعادته حراً كريماً موحداً ينعم أهله جميعا بالرخاء والحياة الطيبة...

وأهدي لكم هذه الأبيات الرائعة لشاعر العراق المبدع وليد الأعظمي (يرحمه الله) بهذه المناسبة العطرة:

فوق المنابر يابلابل غرّدي في مولد الذكرى وذكرى المولد
يا ليلة الذكرى بهاؤك ساطع وأريجُك الفوّاح يعبق في الندي
من مولد المختار أشرقت المنى وتقشعت سحب الأذى المتلبد
واهتزت الدنيا سرورا ؟ وانتشت بالمرشد الهادي لأعذب مورد
يا سيد الرسل هذا يوم مولدكم كأنه لابتداء الخير ميقات
يوم به القلب مغمور بفرحته ويعمر القلب تسبيح وإخبات

إيران: الثورة المصدّرة

عماد علو
بغداد

منذ انتصارها في فبراير عام 1979 تميزت الثورة الاسلامية الايرانية بالتعبير والاعلان عن مشروعها الاستراتيجي برفع شعار تصدير الثورة الاسلامية الى خارج ايران وبالذات الى الدول الاسلامية والعربية، وبررت استراتيجيتها هذه ، بأنها عامل توحيد اقليمي في مواجهة عوامل تجزئة وتقسيم العالم الاسلامي !. فالوضع الأمثل لريادة ايران ـ ان لم نقل زعامتها ـ على المستوى الاقليمي هو نظام اقليمي اسلامي وليس أي نظام آخر، لذلك دأبت الجمهورية الاسلامية في ايران الى دعم الحركات الاسلامية في دول الاقليم وبقية الدول الاسلامية ماديا" واعلاميا" ومعنويا" ومستثمرة هذا الدعم على الصعيد الداخلي الايراني بما يخدم في الحفاظ على الزخم الثوري الداخلي.

وقد ركزت ايران على تشجيع الحركات الراديكالية الاسلامية بالدرجة الاولى، وخصوصا" تلك التي تروم انشاء انظمة حكم على النمط الايراني. وقد طالب القادة الايرانيين تلك الحركات الراديكالية الاسلامية باتخاذ الثورة الاسلامية في ايران مثالا" يقتدى به، كخطوة أولى نحو التوحد مع ايران في دولة واحدة يكون مركزها ايران، ومنذ الأيام الأولى لنجاح ثورة ايران في فبراير عام 1979، اعتبر آية الله طلقاني ـ أحد قادة الثورة ـ أن الثورة الايرانية قد أيقظت العالم الاسلامي في مواجهة الاستعمار والاذلال واعتبر كل ثورة تقوم في أي بقعة من العالم الاسلامي ضد الاستبداد والامبريالية هي ثورة للمقهورين، وبما أن الاسلام دعا الى نصرة المستضعفين في الأرض فهذا واجب الثورة الايرانية لأنها الثورة الأم للمستضعفين ليس فقط في العالم الاسلامي، وانما في العالم أجمع. وبعد مرور (33) سنة على نجاح الثورة الاسلامية في ايران واسقاطها لنظام الشاه محمد رضا بهلوي واقامة جمهورية اسلامية في ايران فان السؤال المطروح الذي سنحاول القاء الضوء عليه هو عن ملامح الاستراتيجية الايرانية في تصدير الثورة وما أهم وأبرز الوسائل والأساليب التي اتبعتها في تنفيذ هذه الاستراتيجية؟ وما أهم العقبات التي واجهتها؟

الدستور الايراني وتصدير الثورة

ان أهم مبررات استراتيجية تصدير الثورة التي اعتمدها قادة الثورة بعد انتصارها في عام 1979، هي أن أفضل وسائل الدفاع عن الثورة وحمايتها هي الهجوم، وذلك من خلال اعتبار التأثير الايراني الخارجي الفعال اجراء وقائيا يستهدف احتواء أي هجوم على الثورة من القوى الاقليمية والدولية المعادية للثورة وذلك باتخاذ كل ما يلزم وبشتى الوسائل لانشاء ومساندة قوى وحركات سياسية تتبنى نفس أفكار النظام الايراني. ولذلك فان مجلس الدفاع الأعلى في ايران سارع الى الدعوة الى ثورة اسلامية عالمية تشكل جبهة اسلامية متحدة ضد اسرائيل في الولايات المتحدة وحلفائهما في المنطقة، ويكون قوامها الحركات الاسلامية المعارضة خاصة في العراق والسعودية ودول الخليج الأخرى. وقد برر الدكتور حسن آيات ـ أحد منظري الثورة الايرانية ـ تدخل الثورة الايرانية في شؤون الدول الاسلامية الأخرى بأن على ايران نصرة المستضعفين في كل مكان حتى يتم ضمان استمرارية الثورة واتساع دائرة اشعاعها. ان استراتيجية تصدير الثورة انعكست بشكل واضح في دستور الجمهورية الاسلامية الايرانية من خلال ما يلي

1 ـ حددت ديباجة الدستور الايراني ـ ضمن أهداف الجمهورية الاسلامية ـ السعي مع الحركات الاسلامية والجماهيرية الأخرى لبناء الأمة العالمية، وانقاذ المحرومين في كل مكان على الأرض.

2 ـ أعطى الدستور الايراني، الحرس الثوري والجيش في الجمهورية الاسلامية مهمة النضال من أجل توسيع حاكمية قانون الله في كافة أرجاء العالم.

3 ـ وضع الدستور الايراني ضمن أهداف السياسة الخارجية الايرانية دعم المستضعفين في الأرض وجهادهم المشروع.

4 ـ يلاحظ أن الدستور الايراني وصف حكام معظم البلدان الاسلامية ـ مثلهم مثل دول الغرب ـ بأنهم يمارسون ((الاستكبار)) ضد شعوبهم، وحث هذه الشعوب على التخلص من حكوماتها التي تخدم ـ حسب الرؤية الايرانية ـ مصالح أعداء الاسلام.

5 ـ أن الدستور الايراني جعل تصدير الثورة واجبا دينيا وليس مجرد هدف سياسي يتمثل في جعل علاقات ايران الخارجية مع الشعوب وليس مع الدول، ويتطلب من ايران تقديم مساعدات مالية وعسكرية بالاضافة الى التدريب العسكري والتلقين العقائدي لهذه الحركات، وعدم الاكتفاء بالدعاية الخارجية للثورة.

تأثير البيئة الاجرائية

اصطدمت محاولة تصدير الثورة الى العراق برد فعل عسكري أدى الى نشوب الحرب العراقية الايرانية (1980ـ 1988) والتي أفرزت عدداً من الدروس المستنبطة كان من أهمها أن القادة في طهران ذهبوا الى أن ما يصيب البيئة الاجرائية للفعل الايراني لتصدير الثورة، من تأثير تحله المؤسسة العسكرية الايرانية وكأنه تهديد قومي تحاول الاجابة عنه بفعل غير مجتزأ، وبناء" على ذلك هجرت القيادة تلك النظرة التي ترى بالقدرة العسكرية مقوماً من المرتبة الثانية، حيث يتوجب عليها توفير الأمن القومي من خلال وظيفتها في مواجهة أو صد التهديدات الداخلية والاقليمية والدولية. لذلك شرعت في تطوير قدراتها العسكرية مركزة بشكل كبير على امتلاك القدرات البالستية ثم النووية. بعد أحداث 2001/9/11 في واشنطن ونيويورك واعلان أمريكا استراتيجيتها للسيطرة والهيمنة على منطقة الشرق الأوسط تحت شعار مكافحة الارهاب صنفت ايران من ضمن (دول محور الشر) أو(الدول المارقة) التي شملت بالاضافة الى ايران العراق وأفغانستان وكوريا الشمالية. وقد أدركت ايران بعد قيام الولايات المتحدة باحتلال أفغانستان ومن ثم العراق، الخيارات المتاحة أمامها والتي تتيحها جملة الظروف التي باتت تؤثر على وضع ايران في بيئتها الاقليمية يدفعها في ذلك ما تمتلكه من قوة تحريك لقواها الضخمة التاريخية والأيديولوجية والاقتصادية و العسكرية والبشرية فضلا عن موقعها الجيوبوليتيكي المتميز. لجهة تطوير وتفعيل استراتيجية تصدير الثورة. ولتفعيل تلك القوى دأبت ايران على توسيع تحديد مقدار الهامش في حركتها الخارجية اللازمة لتطويع واستثمار تلك القوى لصالح تعزيز مكانتها الاستراتيجية في عالم ما بعد الحرب الباردة، مع ادراك القيادة الايرانية بان المهمة المطلوبة منها لمواجهة التهديدات الأمريكية في المنطقة تستدعي حيازة اكبر قوة ممكنة لمجابهة المشروع الأمريكي في الشرق الأوسط. كما بات واضحا للقيادة الايرانية بأن المتغير التاريخي يضحى على قدر عال من الفاعلية عندما يتعامل مع المتغير الأيديولوجي لا بصيغة تعويم الحاضر بل حلا مناسبا لاشكالية الفعل الاستراتيجي الايراني على طريق اعادة طرح المشروع الاستراتيجي الايراني (القادر على ردع الاستكبار الأمريكي والصهيوني ومواجهة المشاريع الأمريكية) الا أن ايران اذ تحسبت لصيانة فعلها الخارجي الحاضر بتعدد ألوانه كطريقة مقصودة لتفويت الفرصة على أعدائها لاسيما بعد أن وعت في ظل التواجد العسكري الأمريكي والغربي على حدودها الغربية والشرقية والجنوبية، لضرورة الحفاظ على ديمومة وجودها كأساس لبناء سلوكها المقبل، حيث سعت الى تكثيف جهدها نحو الانطلاق كونها، وهي المدركة لفعلها والمتحسبة لما يواجهها من تحد من خلال معاناتها الأمنية، معنية للعمل وبقوة للاستجابة ليس من خلال مواجهة التحدي بنفس فصيلته بل عبر السعي الحثيث نحو اعادة طرح وبلورة (المشروع الاستراتيجي الاسلامي الوحدوي الايراني) من خلال الترويج لاستراتيجية (تصدير الثورة الاسلامية) كأسلوب ناجح لاحتواء هذا التحدي بأقل الكلف ولمواجهة المشروعين الأمريكيين (الشرق الأوسط الكبير) و(الاصلاح الديمقراطي).

وسائل تصدير الثورة

كان من دوافع طرح وبلورة استراتيجية (تصدير الثورة الاسلامية) هو السعي الايراني الى تحقيق (المشروع الاستراتيجي الاسلامي الوحدوي الايراني) عن طريق تعزيز التدخل الايراني في العراق ولبنان واليمن والبحرين ودول اسلامية و شرق أوسطية أخرى، وكانت أهم وسائل استراتيجية تصدير الثورة :

ـ دعم مؤسسة (جهاد البناء) الاقتصادية الايرانية وتدويلها لتشابه منظمة المساعدات الاقتصادية الأمريكية (Us aid) ووفق الطريقة نفسها التي تستخدمها واشنطن.

ـ استضافة مقار التنظيمات الاسلامية الراديكالية وتقديم الدعم اللوجستي والاعلامي والمعنوي لها.

ـ ارسال معلمين ومدربين ودعاة، لدعم الحركات الاسلامية الراديكالية في العديد من دول المنطقة والعالم الاسلامي.

ـ استخدمت ايران المؤتمرات العالمية لأئمة الجمعة وأسابيع الوحدة الاسلامية، والاحتفالات السنوية بيوم القدس ومؤسستي الشهيد والمستضعفين، ومنظمة العلماء المجاهدين، كآليات لتعبئة رجال دين وكتاب ومفكرين وقياديين اسلاميين من كافة أنحاء العالم الاسلامي، لتلقينهم عقائديا والتأثير عليهم فكريا، بما يتفق مع أفكار الثورة الايرانية ومصالح الجمهورية الاسلامية.

ـ وظفت الثورة الايرانية اللجنة الدائمة للحج، ومكتب الدعوة الاسلامية كمؤسستين حكوميتين لتصدير فكر الثورة الايرانية وتوسيع تأثيرها الخارجي.

ـ استخدمت ايران الوسائل الاعلامية المختلفة(فضائيات، اذاعات، صحف ومجلات، مواقع انترنيت، مطبوعات ومنشورات مختلفة...الخ)، ودعمت وسائل الحركات والقوى الاسلامية الراديكالية المتعاطفة مع ايران والدائرة في فلك مشروعها الاستراتيجي.

ـ ارسال الاسلحة والمدربين والاموال لدعم الحركات الراديكالية الاسلامية في عدد من دول المنطقة والعالم.

ـ منح لطلاب من دول اسلامية مختلفة للدراسة في معاهد وحوزات علمية ايرانية، يتلقون بجانب التعليم دورات تلقين عقائدية تتصل بمبادئ الثورة الايرانية.

تصدير الثورة والدبلوماسية الإيرانية

واجهت ايران في السنوات الأخيرة صعوبة الموازنة بين الرسالة الأيديولوجية، وبين مصالحها واحتياجاتها الوطنية، كما أثبتت أن شعاراتها في السياسة الخارجية أكثر راديكالية من مواقفها العملية وسلوكها، وان ارتفع شعار تبني نموذج النظام الاسلامي في بلد واحد قد يضعف الثورة الايرانية وتأثيرها على القوى الاسلامية بالخارج. ولما كان من غير المستبعد في العلاقات الدولية أن نجد تناقضا يتولد بمرور الوقت بين التزامات عقائدية ثورية معلنة في السياسة الخارجية لدولة وبين سلوكها الفعلي، سواء جاء ذلك نتيجة صراع داخل صفوف السلطة الحاكمة، أو لتجنب مصاعب داخلية، أو اقتصادية، أو عزلة دولية واقليمية. فان المعادلة الصعبة التي واجهت القيادة الايرانية تمثلت بمحاولة الدبلوماسية الايرانية تحسين علاقات الحكم الايراني بالدول الاسلامية الأخرى، واتصالاته بالتيارات الاسلامية الراديكالية المعادية للنظم القائمة بهذه الدول، وهذه الاشكالية يمكن تلمسها بالاستقالات المتكررة لوزراء الخارجية الايرانيين كان آخرهم استقالة الوزير متكي نتيجة التناقضات بين صفوف النخب و القوى السياسية الفاعلة داخليا ومواقفها من هذه السياسات، وبالصراع بين المعتدلين والراديكاليين، وبين الاعتبارات العقائدية واعتبارات الاستقرار السياسي خارجيا" وداخليا".ومع هذا فان استمرار وجود نظام حكم الثورة في ايران منذ عام 1979 في حد ذاته يشكل قوة دفع وتشجيع للتنظيمات الراديكالية الاسلامية بما فيها تلك الداعية الى العنف، وقلب أنظمة الحكم في البلدان الاسلامية الأخرى.

واجهت استراتيجية تصدير الثورة الايرانية عدداً غير قليل من العقبات والمعوقات داخليا" وخارجيا" منذ بداية الثورة، وكان ابرز القادة الايرانيين الذين عارضوا استراتيجية تصدير الثورة هو حجة الاسلام هاشمي رفسنجاني الذي طالب باعتبار الثورة الاسلامية قدوة ومثالا دون الاشارة الى التدخل الخارجي، وعبرت الصحافة الموالية له عن هذه المواقف. وفي عام 1989 ذكر رفسنجاني عندما كان رئيسا للبرلمان أنه يرفض التضحية بما تحقق على مستوى بناء المؤسسات داخل الجمهورية الاسلامية، أو اعاقة استكمال تنفيذ أهداف الثورة داخلياً مقابل تصدير الثورة خارجياً. وجاء التخلص من مير حسين موسوي بالغاء منصب رئيس الوزراء عقب انتخاب رفسنجاني رئيسا للجمهورية وتعديل الدستور ليعكس اقصاء أحد دعاة تيار تصدير الثورة الايرانية، وكان قد سبق هذه الخطوة اقصاء مهدي هاشمي وصهر آية الله منتظري المرشح السابق لخلافة الخميني وأحد دعاة تصدير الثورة ومسئول مكتب دعم حركات التحرير في العالم عام 1986. وعقب تولي رفسنجاني رئاسة الجمهورية عام 1989 قام باقصاء علي أكبر محتشمي ـ أحد دعاة تصدير الثورة ـ من وزارة الداخلية. وفي عام 1989 حقق رفسنجاني نجاحا" في كبح جماح الداعين الى تصدير الثورة بدمجه وزارتي الدفاع والحرس الثوري في وزارة واحدة للقوات المسلحة، الامر الذي اشار بوضوح الى اضعاف أي دور خارجي مستقل للحرس الثوري الايراني. ويعزو العديد من المراقبين أن هذا التحول أو ضعف الاندفاع نحو استراتيجية تصدير الثورة كان سببه تداعيات الحرب العراقية الايرانية على الاقتصاد الايراني وشعور ايران بحاجتها للانفتاح على العالم، لاجتذاب استثمارات الغرب وتكنولوجيته لاعادة تعمير ايران مما تطلب اعتدالا في السياسة الخارجية.

الا أن المعوق الاكثر تأثيرا" بوجه استراتيجية تصدير الثورة الايرانية كانت تكمن في طبيعة البنية العقائدية للثورة الايرانية، التي ركزت بشكل كبير على الجانب المذهبي مما أفقدها البريق والوسطية وبالتالي القدوة بين الحركات الاسلامية الراديكالية في المنطقة والعالم الاسلامي خصوصا" تلك التي تعود جذورها العقائدية الى مذاهب اسلامية قد تتقاطع احيانا" مع الاتجاه المذهبي الذي تبنته الثورة الاسلامية الايرانية، الامر الذي سهل على اعدائها توجيه التهم والانتقاد اليها باعتبارها تمثل مذهبا" واحدا" ولا يمكنها الادعاء بانها تمثل المسلمين كافة. ورغم خسارة الراديكاليين في انتخابات ابريل عام 1992 البرلمانية وحصول المعتدلين على غالبية المقاعد، والتنبؤ بأن ذلك سيؤدي الى خفوت اتجاهات دعم المد الاسلامي المتطرف في المنطقة، وتراجع استراتيجية تصدير الثورة ! الا أن اتهام مرشد الثورة آية الله الخامنئي للغرب بتهييج دول عربية ضد ايران، عبر استثمار الغرب للصراع المذهبي والطائفي من أجل كبح جماح انصار استراتيجية تصدير الثورة، الامر الذي لم ينتبه له قادة ايران بشكل واضح مما زاد من عزلة ايران على صعيد المنطقة والعالم وجعل حركتها تنحصر في المناطق ذات الاغلبية المذهبية التي تتناغم مع التوجه المذهبي والطائفي الايراني.. ورغم دعوة المرشد الاعلى للثورة الاسلامية آية الله الخامنئي في احدى خطب الجمعة أن ايران هي محور الثورة والوحدة الاسلامية، وهي وحدها الدولة الاسلامية الحقيقية، الا أن الانحياز والغلو المذهبي للثورة الاسلامية الايرانية الى مذهب واحد افقدها قدرة التحرك والمناورة والمرونة على الصعيدين الاقليمي والدولي و شكل عائقا" واضحة وعقبة كبيرة ازاء مشروعها بتصدير الثورة الاسلامية، الى العديد من المجتمعات الاسلامية التي كانت تواقة ومهيئة اجتماعيا" واقتصاديا" وسياسيا" لاستقبال واستلهام شعارات الثورة الاسلامية الايرانية.

الربيع العربي وتصدير الثورة

كان من نتائج ومخرجات ما سمي بربيع الثورات العربي الذي اندلع منذ عام وأسفر حتى الآن على الاطاحة بأربعة حكومات دكتاتورية عربية في تونس وليبيا ومصر واليمن، أن صعدت الى الواجهة حركات الاسلام السياسي ذات الصبغة الراديكالية، وبدت وكأنها قادت وفعّلت تلك الثورات وقادتها للنتائج التي وصلت اليها حتى الان. وهناك بعض الآراء التي ترى أنه رغم أن ايران لم تخلق المد الاسلامي العربي الذي صعد الى واجهة الاحداث في اطار الربيع العربي، الا أن البيانات والتصريحات التي صدرت عن رموز القيادة الايرانية اشارت بوضوح الى أنها ساعدت وشجعت هذه الحركات الاسلامية وتحاول توظيفها ـ في عدة دول ـ لخدمة مصالحها دوليا واقليميا.

ورغم أن ايران أعلنت في عدة مناسبات أنها لن تتدخل في الشئون الداخلية للدول الأخرى، وأن وزارة الخارجية الايرانية هي الجهة المعنية بممارسة السياسة الخارجية مع الدول الأخرى، الا أن تصريحات لعدة مسئولين ايرانيين جاءت لتؤكد أن ايران لن تأمن من مؤامرات الدول الكبرى الا اذا حدثت ثورات مماثلة لثورات الربيع العربي في العالم الاسلامي ووعدت بمساعدة كل حركات التحرير والحركات الاسلامية الراديكالية في أي مكان في العالم. في وقت لاتزال العديد من المنظمات الثورية الاسلامية الرسمية أو شبه الرسمية أو حتى غير رسمية في ايران تزاول اتصالات مع تنظيمات اسلامية معارضة في بلدان عربية و اسلامية عديدة تشهد توترات ومظاهرات وحراك شعبي مما يسبب توترا في العلاقات الايرانية مع هذه الدول.

الخاتمة

استناداً لما سبق، فإن الدلائل تشير اليوم الى استمرار الصراع بين المتشددين والمعتدلين في ايران، ومواصلة المتشددين ممارسة ضغوطهم لجهة تدعيم وتطوير استراتيجية تصدير الثورة، و دعم الحركات الاسلامية الراديكالية عبر العالم، باعتبارها ورقة ضغط مفيدة في يد السياسة الخارجية الايرانية خاصة في ظل استمرار العزلة النسبية لايران تجاه الغرب في ضوء استمرار التخوف الأمريكي مما تعتبره الادارة الأمريكية الجديدة جهود التسلح غير التقليدي الايرانية ومساندتها الارهاب عبر العالم ومعارضتها لعملية التسوية في الشرق الأوسط، كل هذه عوامل ستدفع باتجاه استمرارية ارتباط ايران بجماعات العنف السياسي داخل المنطقة وخارجها مستقبلا لشعورها المتزايد بالتهديد والخطر من محيطها الاقليمي والدولي، خصوصا" في اجواء الاستقطاب الطائفي والمذهبي والعرقي الذي تحاول أشاعته والترويج له المشاريع الشرق اوسطية الامريكية لجهة تغيير الخارطة السياسية للمنطقة بما يخدم مصالحها فيها.

ان مخرجات ونتائج الربيع العربي وما تمخض من صعود حركات الاسلام السياسي في العديد من دول المنطقة سيعزز حقيقة،أن بقاء الثورة الاسلامية في الحكم في ايران منذ العام 1979 وصمودها بوجه التحديات الاقليمية والدولية حتى يومنا هذا، سيكون في حد ذاته مصدر الهام للعديد من الجماعات الاسلامية الراديكالية وغير الراديكالية، كما أن العديد من هذه الحركات عبر العالم الاسلامي ستبقى تعتبر ايران الملاذ والملجأ الأخير لها، بعد أن استعارت هذه الحركات اللغة والشعارات السياسية للثورة الايرانية.

المصالح الأمريكية

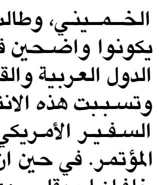

أحمد المرشد
المنامة

اعتقد انه لم يكن امرا جديدا ان يتهم مسؤول امني عربي الولايات المتحدة بانها تبحث فقط عن مصالحها وانها لا يهمها مصالح الآخرين، وانها فى سبيل تحقيق اهدافها تدهس حرية الاخرين ومعتقداتهم . ولكن الامر الجديد فى اعتقادي هو ان ينسحب مسؤول امريكي من منتدى مهم بمجرد ان يسمع تلك الانتقادات ولا تتوفر لديه الجرأة السياسية لمواجهتها رغم انه كان متاحا له ذلك. والمؤكد ان الحقيقة الساطعة صدمته، ربما لم يكن هذا المسؤول يتوقع ان يتحدث العرب بتلك الشفافية والتلقائية الشديدة عن رأيهم فى الولايات المتحدة الامريكية، وان العرب لم يعد تردعهم القواعد الدبلوماسية وادب الضيافة واكرام الضيف، فالحرية التي يتشدق بها الامريكيون اصبحت سمة فى العالم الآن، وطالما كان من حق الجميع ان يتحدثوا بحرية، فمن حق العرب ايضا ان يتكلموا كلاما مفيدا وان يفصحوا عن رأيهم الحقيقي في امريكا سيدة العالم الحر كما تدعي.

الحكاية ببساطة شديدة هى انسحاب السفير الامريكي لدى المنامة من ندوة على هامش مؤتمر "الأمن الوطني والأمن الاقليمي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية" الذي استضافته مملكة البحرين مؤخرا، عندما وجه الفريق ضاحي خلفان القائد العام لشرطة دبي، انتقادات شديدة للسياسة الأمريكية في المنطقة واتهمها بالعمل لتنفيذ المشروع الايراني الصفوي وتصدير ثورة الخميني، وطالب الأمريكيين بأن يكونوا واضحين في سياستهم مع الدول العربية والقضية الفلسطينية، وتسببت هذه الانتقادات في خروج السفير الأمريكي في البحرين من المؤتمر. في حين ان الفريق ضاحي خلفان لم يقل سوى الحقيقة عندما اشار الى ان الولايات المتحدة لا تبحث سوى عن مصالحها اما الآخرون فلهم رب يحميهم.

وربما يكون هذا الموقف ردا شافيا على ما كتبه بعض الصحفيين العرب الذين يتهمون ادارة الرئيس الأمريكي باراك أوباما بانها تناصر حكام الخليج وليس شعوبه، وذلك طمعا في الثروات النفطية بالمنطقة وانها ـ اي واشنطن ـ تنافق الانظمة الخليجية حتى تستفيد من اخر قطرة نفط .. في حين ان واشنطن وقفت الى الشعوب العربية الأخرى ـ الانظمة الجمهورية ـ ضد انظمتها الحاكمة . وكان رأي هؤلاء انه رغم اعتراف الولايات المتحدة بان المنطقة تمر بحالة تغير سريعة تعصف بكل الكيانات القديمة، فان هذا لا يمنع ان تقف الولايات المتحدة وبقوة خلف الأنظمة الملكية في الخليج، رغم مطالبة واشنطن لملوكها باجراء بعض الاصلاحات السياسية لارضاء شعوبها، مثل التحول الى نظام الملكية الدستورية.

ولهؤلاء واولئك نقول ان منطقة الخليج ليست بمصائر بقية الدول العربية الأخرى، فشعوبها تعيش حالة اقتصادية مرتفعة رغم الازمات المالية و الاقتصادية العالمية، وليس صحيحا ان واشنطن وهي تبتعد عن الأنظمة الاستبدادية في المنطقة حسب قولها، تزداد قربا من الأنظمة الملكية، رغم ادراكنا ان من مصلحة واشنطن الابقاء على استقرار دول الخليج، وهذا مرجعه طبعا هو تغليب لغة المصالح أولا وأخيرا.

فالولايات المتحدة كما قال ضاحي خلفان في محاضرته تعيش مجموعة من الازمات الاقتصادية والسياسية والعسكرية، ومن اجل حل مشاكلها الداخلية تعمل على خلق ازمات بالخارج ، فهي تحقق انتعاشا من تلك الأزمات الخانقة التي توجدها في العالم عبر اجهزتها وادرعتها المتعددة. فهي تمنع تماما ظهور أي قطب منافس للولايات المتحدة سياسيا او اقتصاديا، وتنحاز نحو اليمين المتطرف الذي يلبي طموحاتها في الهيمنة على اقتصاديات العالم.

وتكرس استراتيجية مدروسة بعناية فائقة ، من اجل تحقيق هذا الهدف عبر تحطيم أي عملة دولية جديدة منافسة في أسواق التداول العالمية (اليورو) .. ثم نأتي للاستراتيجية الاهم وهي العمل على قيادة العالم بهيمنة التفوق العسكري الأمريكي.. تلك هي اسس مشروع الامبراطورية الأمريكية، والتي تتحدد استراتيجيته في السيطرة المباشرة على منابع النفط العالمي والتحكم بكل عمليات التنقيب والانتاج والتسويق والأسعار عبر وضع اليد على مواقع النفط العربي والأفريقي والآسيوي من خلال السيطرة الجيوسياسية. ثم السيطرة الاقتصادية عبر اقتصاديات السوق الحر والسيطرة المطلقة للدولار كقوة مالية مغطية للديون الأمريكية كونها عملة وطنية أمريكية سواء كانت بالتلاعب بقيمتها الأصولية تخفيضاً او اصداراً يغرق سوق التداول بغطاء حكومي.

وقد نشير هنا الى دراسة بحثية مرموقة ربطت بين ظهور المشروع الأمريكي الامبراطوري بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانحسارية الماركسية اللينينية، من خلال تبني استراتيجية استعمارية تحت غطاء الديمقراطية والاصلاح ومكافحة الارهاب بعد اختلاق العدو الوهمي (الاسلام). فجاءت أحداث (11 سبتمبر) لتكون اشارة الانطلاق لهذا المشروع المؤسس له منذ عقدين فجاء الغزو الأمريكي على أفغانستان ثم العراق .

وتؤكد الدراسة البحثية ان الولايات المتحدة ابعدت او غيبت المضمون القانوني ـ الأخلاقي في آليات عمل المشروع الامبراطوري الأمريكي، ومن ثم انتهكت الشرعية الدولية وضوابط والتزامات القانون الدولي المنظم للعلاقات الدولية وآليات عمل منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن .. والدليل هو غزو العراق عبر تغييب الاطر القانونية والسياسية والأخلاقية لهذا المشروع في السلوك السياسي للادارة الأمريكية، فجاء قرار شن الحرب على العراق قرارا امريكيا صرفا بدون اي غطاء أي قرار أممي. والذرائع والحجج التي سوغتها الادارة الأمريكية قد انكشف زيفها رسميا وعلى حد اعترافات الادارة الأمريكية نفسها.

العراق كان نموذجا مصغرا للمنطقة، فالمشروع الامريكي لم يتوقف على دولة بعينها وانما منطقة الخليج و الوطن العربي والمحيط الاقليمي ومن ثم العالم بأممية جديد عبر دمج العالم تحت الهيمنة الاقتصادية والسياسية والثقافية.

اجمالا.. ليس امامنا نحن الخليجيون على الاقل فى الوقت الراهن سوي الانتباه لطبيعة هذا المشروع التوسعي، وبحث كيفية مواجهته عبر تنويع مصادر التعامل مع العالم، فهذا العالم ليس الولايات المتحدة فقط، فهناك قوى عالمية اخرى تتمثل فى الصين وروسيا والاتحاد الاوربي ودول مجموعة العشرين، فعلينا تنويع مصادر السلاح وعدم الاعتماد على السلاح الامريكي فقط، وكذلك تنويع تعاملاتنا النفطية واستثماراتنا وتوسيع قاعدة التعامل المالي بحيث لا تقتصر على الدولار، فهناك سلة العملات التى تتبناها الكويت مثلا وتجنبها تلاعبات الدول فى عملاتها، واذا لم يكن سلة العملات امرا ممكنا، فأمامنا اليورو رغم خسائره الحالية، خاصة وان جزءا كبيرا من الودائع الخليجية توجد في المصارف الاوربية.. ثم امامنا الاتحاد الخليجي بكامل مشتملاته السياسية والاقتصادية لنكون قوة وتكتلا اقليميا وعالميا يستطيع مواجهة المشروع الامريكي ممتد المفعول زمنيا ومكانيا.

كاتب بحريني